السيميولوجية وسيميائية الصورة في قصيدة (قف ورتّل سورة النسف علي رأس الوثن) لأحمد مطر نموذجا

عباسعلی ابراهیمی مهر

أستاذ مساعد في اللغة الفارسية وآدابها ، جامعة ياسوج للعلوم الطبية ، ياسوج ، إيران

ebrahimimehr@gmail.com

أحمد نور وحيدى (الكاتب المسؤول)

استاذ مساعد في اللغة الفارسية وآدابها ، مجتمع التعليم العالى بسراوان ، سراوان ، إيران

ahmadnoorvahidi@gmail.com

علی خطیبی

طالب الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، جامعة شيراز ، شيراز، إيران

alikhatibi20@gmail.com

The semiology of Ahmad Matar's poem)Stand and recite Surat An-Nasaf on the Head of the Fetish(as an example

Abbas Ali Ebrahimimehr
Assistant Professor of Persian Language and Literature , yasuj University of Medical Sciences , Yasuj , Iran
Ahmadnoor vahidi (Corresponding Author)
Assistant professor, Higher Educational Complex Of Saravan , Saravan , Iran
Ali Khatibi
PhD student in Arabic Language and Literature , University of Shiraz , Shiraz , Iran

الملخّص :

السيمياء مصطلح ظهر مؤخرا وكثرت بشأنه الدراسات وهو ذاك العلم الذي يدرس الإشارات أو العلامات داخل الحياة الاجتماعية والنص.

وقد حاول الباحث خلال هذا البحث أن يقدم دراسة تحليلية وتأويلية مع التركيز على بعض الظواهر السيميائية الواردة في الصور.

في القسم الأول من البحث قد وصل الباحث إلى أن السيمياء كانت مجتذرة في الأدب العربي إلا أنها لم تصل إلى البحوث النظرية وفي القسم الثاني رأى الباحث بأن الشاعر قد وُفّق في عرض "صورة القمع و الظلم " الذي كان يعيشه في مجتمعه من خلال لوحاته الفنية.

الكلمـات الرئيسـة : السـيميولوجية ، الصـورة ، أحمد مطر، سورة النسف .

Abstract:

Semiotics is a term that appeared recently and has been widely studied, and it is the science that studies signs within social life and the text. The researcher tried during this research to present an analytical and interpretive study with a focus on some semiotic phenomena contained in the images. In the first part of the research, the researcher reached that semiotics was rooted in Arabic literature, but it did not reach theoretical research. In the second part, the researcher saw that the poet had succeeded in presenting the "image of oppression and injustice" that he lived in his society through his artistic paintings.

Key words : Semiotics , the image , Ahmad Matar , Surat An-Nasaf .

مقدمة

السيمولوجية هي علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة.

بعد تعريف السيميولوجية لغة واصطلاحا قد تطرق الباحث إلى دراسة السيمياء في العلم القديم عند علماؤنا العرب كجاحظ والغزالي والراغب الأصفهاني وابن سينا وابن خلدون كما انتقل بعد ذلك إلى هذا العلم ومفهومه عند علماء الغرب ونشأته كما عند بيرس ودوسوسير وغيرهم من العلماء ثم فصّل البحث حول الاتجاهات والمنابع السيميائية الموجودة عند الغربيين ومستويات التحليل السيميائي الذي بحوزتهم.

لكن المهم الذي يسعى إليه الباحث من وراء هذا البحث بعد تعريف السيميائية هو سيميائية الصورة بالأخص الصورة الشعرية التي نلمسها في دواوين الشعراء المعاصرين. ومن الدراسات السابقة التي اطلعتُ عليها بحث الدكتور فاروق مواسي بعنوان (تميم البرغوثي وقصيدة القدس) ورغم قلة هذه الدراسات والمعاقل والعراقيل التي واجهتنا في هذا المضمار إلا أننا وبحمدالله ونعمته قد بذلنا قر الجهد لينال القبول لدى متلقيه.

قد اختار الباحث الشاعر التميم البرغوثي وقصيدته (في القدس) ليبين الصور الموجودة فيها ومن بعد ذلك الغرض الذي يسعى إليه الشاعر من وراء عرض هذه الصور كل ذلك بنظرة سيميائية إن شاء الله.

السيميولوجية لغة:

السيمياء: العلامة ،مشتقة من الفعل" سام" هو مقلوب " وسم" وزنها(عفِلى) وهي في الصورة(فعِلى)يدل على ذلك قولهم:سمة فإن أصلها (وسمة) ويقولون(سيمى) بالقصر وسيماء بزيادة الياء وبالمد. (دقة، د- ت،١)

«يتضح لنا أن كلمة سيمياء مشتقة وهي بمعنى العلامة أو الآية، أي بالفرنسية . (sing)» (عبد الله،١٩٨٣م،١٦٦)

لكن الأولى لنا استخدام هذا المصطلح(سيماء) دون غيره لأنه المصطلح ضارب في الأصل العربي كما رأينا في الكتب التي ناقشت هذا الموضوع والذي سنطرق إليه في هذا المقال.

أما اصطلاحا:«هي علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة. وهكذا فإن السيميولوجية هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون ويدرس بالتالي توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية».(جيور، ١٩٩٨م، ٩)

فقد جاءت هذه اللفظة أيضا في الشعر العربي:

غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا تشق علي البصر
كان الثريا علّقت فوق نحره وفي جيده الشعري وفي وجهه القمر

(أسيد ابن عنقإ الخرازي) ، (ابن منظور،لسان العرب،٣١٢/١٢)

السيميولوجية في التراث القديم

قد تبلور علم السيمياء على يد علماء الأصول والتفسير والمنطق واللغة والبلاغة.وكان الباحث والموجه للدرس السيميائي هو القرآن الكريم.إذ منذ نزوله كان التأمل في العلامة بغية اكتشاف بنيتها الدلالية. فقد أرشد الكريم في مواضع عدة إلى تدبرها ومن ذلك قوله"إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)"(الرعد/٤). "وعلامات وبالنجم هم يهتدون"(النحل/١٦) كما ذكرت نفس كلمة سيماء في القرآن الكريم. "تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا" (البقرة/٧٣) ، "وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم" (الأعراف/٤٦) ، "ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم" (الأعراف/٤٨) ، "وسيماهم في وجوههم من أثر السجود "(الفتح/٢٩) ، "يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام" (الرحمن/٤١)

إن دراسات النظام الإشاري في التراث القديم هي دراسة قديمة قدم الدرس اللساني إلا أن الأفكار والتأملات السيميائية التي وصلت ظللت في إطار التجربة الذاتية ولم تتجسد في إطار التجربة العلمية الموضوعية ومن ثم فالمنطلقات السيميائية للدراسة العربية تنقصها الإجراءات التطبيقية الموسعة.

جهود العرب في الدراسات السيميولوجية:

الغزالي :

أبو حامد الغزالي يرى أن الأشياء في الوجود لها أربع مراتب إذ يقول: إن للشي وجودا في الأعيان ،ثم في الأذهان ،ثم في الألفاظ ،ثم في الكتابة. فالكتابة دالة على

اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس والذي في النفس هي مثال موجود في الأعيان.(الغزالي،بلا تاريخ ،٣٥)

الجاحظ:ولعل أروع ما وصل إلينا ما نجده عند الجاحظ مما يدل على عبقرية منفردة وعقلية فذة وهو يؤشر لنا ملمحا سيميائيا مميزا يمكننا تلخيصه بالآتي:

١) ما جإ في تعرفه للبيان بأنه اسم جامع لكل شي كشف لك قناع المعنى، أي كل ما أوصل السامع إلى المعنى المراد ،يستوفي في ذلك كل أجناس الأدلة، فبأي شي بلغت الأفهام ووضحت المعاني فذلك هو لبيان في ذلك الموضع.

٢) تعداد العلامات التي تدل على المعني وهي خمسة أشياء:اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال.

٣) تفصيله الإشارات الناقلة للمعاني وشرحه لكيفيتها وتطورها وتجديده للمواقف الاجتماعية التي تستدعي التعبير بالإشارة كالرغبة في ستر بعض الإمور وإخفإها.(الجاحظ،بلا تاريخ،٧٥)

الراغب الأصفهاني :

فقد أشار الراغب الأصفهاني إلى أن نغمة الصوت تختلف تبعا للمرامي والأغراض.فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات واختلاف النغمات فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر. (الراغب الأصفهاني،دون تاريخ،٢٥٠)

ابن سينا :

«علم السيمياء يقصد به كيفية تمزيج القوى التي هي جواهر العالم الأ رضي ليحدث لها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو أيضا أنواع: فمنه ما هو مرتب على الحيل الروحانية والآلات المصنوعة على ضرورة عدم الخلاء ومنها ما هو مرتب على خفة اليد والأول من هذه الأنواع هو السيمياء بالحقيقة والثاني من فروع الهندسة» (ابن سينا، ١٩٧م، ٣٧)

ابن خلدون :

أما ابن خلدون فقد خصص فصلا في مقدمته لعلم الأسرار للحروف يقول فيها:المسمى بالسيمياء فقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصوف من

غلاة المتصوفة ،فاستعمل استعمال الخاص وظهر عند غلاة المتصوفة عند جنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب الاصطلاحات في تنزيل الوجود على الواحد. فحدث بذلك علم أسرار الحروف وهو من تفاريع السيمياء لايقف علي موضوعه ولا تحيط بالعدد مسائله وتعددت فيه تآليف البوني و ابن العربي ومن فروع السيمياء، عندهم استخراج الأجوبة من الأسئلة بالارتباطات بين الكلمات الحرفية يوحون أنها أصل في المعرفة. (ابن خلدون ،دون تاريخ، ٥٥٦)

"السيمياء عند الغرب"

الوقع أن السيمياء لم يصبح علما قائما بنفسه إلا بالعمل الذي قام به الفيلسوف الأمريكي تشارلر سندرس بيرس(pieres) وتبعا لرؤية بيرس فإن كل العلامات تدرك من خلال تلك المستويات الثلاثة(الإشارة،الموضوع،المعنى)على خلاف العلامة عند دوسوسير فإنها ذات وجهين دال ومدلول. (دقة،٢٠١٣م،٩)

«ومن نظر فردنياند دوسوسير فإن السيمياء أو السيميولوجيا هي عبارة عن علم يدرس الإشارات أو العلامات داخل الحياة الاجتماعية» (هوكز١٩٨٦م،١١٣)

وأن سوسير يضع العلامات داخل أحضان المجتمع ويجعل اللسانيات فرعا من السيمياء خلافا لغيره من العلماء وهكذا فإن علم السيمياء عند هو ذلك العلم الذي يدرس حياة الإشارات في قلب المجتمع ويهتم بإنتاج الإشارات أو العلامات واستعمالها بحيث تبرز الأنظمة السيميائية من خلال العلاقات بين العلامات . (دقة،٢٠١٣م،٩)

اتجاهات ومناهج السيميائية:

أكد السيميائيون أن السيميائية العامة مازالت في بدايتها وأنها ماتزال في مرحلة ما قبل الأنموذج من تطورها كعلم. ومن هنا فإن الكثير من المدارس والاتجاهات تتعارض من حيث تصور كل واحدة للنظرية السيميولوجية ،ولا سيما إذا وضع في الحسبان النشأة المزدوجة للسيميائية منذ ظهورها علي يد بيرس ودوسوسير.

- **الاتجاه الأمريكي :**

ارتبط هذا الاتجاه تشارلز ساندرس بيرس،الذي سمى السيميائية بـ"السيميوطيقا" وأكد بيرس أنه لم يكن بوسعه أن يدرس أي شي إلا بوصفه دراسة سيميوطيقية.

«والسيميوطيقية البيرسية ما لسيميوطيقا الدلالة والتواصل والتمثيل في نفس الوقت. تعتمد على أبعاد ثلاثة: دلالية وتداولية وتركيبية.

فالدليل البيرسية دليل يتكون من الممثل / الدليل، كونه دليلا في البعد الأول ومن موضوع الدليل(المعنى) في البعد الثاني...ومن المدلول الذي يفسر كيفية إحالة الدليل على موضوعه في البعد الثالث» (حنون١٩٨٧م،٧٩)

- **الاتجاه الفرنسي :**

السيمولوجية السوسيرية:يمثل هذا الاتجاه فردنياند دوسوسير وقد تحرك عن السيميائية معتبرا بأن اللغة نظام من العلامات المعبرة والتي تماثل أنظمة الكتابة أبجديته الصم البكم والطقوس الرمزية وآداب السلوك والإشارات العسكرية. ومن ثمة يمكن تأسيس علم يدرس هذه العلامات يطلق عليه اسم علم العلامات أو السيميولوجيا ومن هنا فإن علم اللغة هو فرع من السيميائية، هذا العلم الذي استعار عددا من مبادي ئ علم اللغة الحديث، منها: العلامة اللغوية والدال والمدلول واعتباطية الدليل.

العلامة اللغوية والدال والمدلول:تقوم العلامة الغوية على الربط بين شيئين ينشئ الأول مفهوما أو دليلا ويسمى الثاني صورة سمعية أو دالا وكلاهما قائم بواسطة علاقة ترابطية مع طبيعة نفسه واتحاد عقلي. والصوت يترك أثرا نفسيا في السامع يشكل صورة سمعية.

لسيميولوجيا الدلالة: يمثل هذا الاتجاه رولان بارت،الذي اهتم بالدلالة إلى درجة قصوى،ووجود الدلالة يؤدي إلى وجود السيميائية التي يرى بارت «أن بإمكانها أن ستري خدمات لبعض العلوم وتصاحبها في طريقها وتقترح عليها نموذجا إجرائيا، يحدد انطلاقا منه كل علم نوعية ينصب عليه»(بارت، ١٩٨٦م،٢٥)

وبارت فسّر سوسير، عندما اعتبر في حديثه عن الأسطورة أنّ أي تحليل للعلامة اللغوية/الدلالة، يقتضي وجود علاقة ترابطية بين الدال والمدلول. والسيميائية عند

بارت تتطلب وجود اللغة التي تقوم عليها دلالات الأشياء .وفي ذلك يقول: «ومما لا مراء فيه أن الأشياء والصور والسلوكيات قد تدل ، بل تدل بغزارة،لكن لايمكنها أن تفعل ذلك بكيفية مستقلة،إذ أن كل نظام دلائلي يمتزج باللغة »(بارت١٩٨٧م،٢٨)

فاللغة هي التي تحقق بوجود الإنساني عالم المدلولات بإنتاج المعنى وإسنادها الدلالة إلى الأشياء كما تدعم التواصل الإنساني وقد حدد رواد هذا الاتجاه السيميائية في دراسة أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية ومن ثمة أصبح للعلامة السيميائية وظيفة تواصلية ذات محورين اثنين،هما:

- ✓ التواصل اللساني الذي يتم عبر الفعل الكلامي والتبادل الحواري بين المتكلم والمستمع
- ✓ التواصل غير اللساني الذي يعتمد على أنظمة سننية غير لغوية.

- **الاتجاه الروسي :**

يعود الفضل في هذا الاتجاه إلى الشكلانيين الروس وعلى رأسهم رومان جاكوبسون ويوري بوتمان وأوسبينسكي وانفيوف وتودوروف وغيرهم وقد عملت هذه الجماعة على تخليص الأدب من الإيديولوجيا وسيادتها وركزت على النقد الاجتماعي الذي تناول الأعمال بوصفها صورا تعكس الواقع وتصوره تصويرا صادقا واهتمت بكيفية القول أو على الأشكال والبنيات بدلا من المواد والمحتويات. وهذا جعل مسار السيميائية يتحدد ويتشكل من خلال الكتابات والدراسات التنظيرية المؤسسة البنيوية الحديثة وتأسيس مدرسة(تارتو)الروسية التي اهتمت بأنظمة العلامات والقيام بأبحاث تطبيقية والتوفيق بين آراء بيرس ودوسوسير حول العلامة والاهتمام بالسيميوطيقا المعرفية والثقافة والاهتمام أيضا بالأجناس الأدبية الأخرى مهما كانت قيمتها الدنيا واعتبار أن العلامة كما عند مدرسة تارتو لا تكتسب دلالتها إلا بوضعها في إطار الثقافة.

- **الاتجاه الإيطالي :**

اهتم امبيرتو إيكو بالظواهر الثقافية ورأى أن هناك ثلاثة شروط أساسية لنشأة الثقافة وتتمثل في:

- ✓ -حينما يسند كائن مفكر وظيفة جديدة لشيء طبيعي
- ✓ -حينما يسمى ذلك الشيء لاستخدامه في شيء ما ولايشترط أبدا قول هذه التسمية بصوت مرتفع ،كما لايشترط فيه أن تقال للغير.
- ✓ -حينما نتعرف على ذلك الشيء بوصفه شيئا يستجيب لوظيفة معينة وتسمية محددة ولايشترط استعماله مرة ثانية وإنما يكفي مجرد التعرف عليه ويرى أن الثقافة لا تنشأ إلا حينما تتمثل الخارج تمثلا داخليا وذاتيا...أي حينما ننتقل من الطبيعي بواسطة الفكر وبواسطة التجريد، فنسمي الأشياء الطبيعية ونسند إليها وظيفة معينة ليتذكرها على تلك الهيئة. ويعني ذلك تمييز الأشياء عن بعضها البعض بواسطة الفكر ووضع لمسات لها تميزها وتستحضرها في حال غيابها المادي(.داني، ٢٠١٣م، ص١٤٨-١٥٣)

مستويات التحليل السيميائي :

إن التحليل السيميائي- كما يرى للباحث الدكتور عبد القادر شرشار يبدأ من النتيجة النهائية التي وصل إليها التحليل اللساني«ليدخل في مرحلة تفسير المعطيات وتأويل العلاقات الترابطية بين الدلالات ،فإن عمله يجسد بصورة خاصة في محاولة تجاوز البنية اللغوية الداخلية ،إلى أنظمة خاصة بما فيها المرجعيات الثقافية والدينية والسياسية التي ينتمي إليها الخطاب والملابسات التأويلية المختلفة وهو في محاولة تناول البنية الرأسية استثمار تلك الأنظمة الدالة» (الجيلاني٢٠٠١م) ٣٦٥،

وقد قسم النقاد اتجاهات التحليل السيميائي إلي ثلاثة رئيسية:

١. هناك من يري أن السيميائية هي دراسة الأنظمة الدالة من خلال الظواهر الاجتماعية الملابسة للنص من منظور أنها جزء من اللسانيات ومثل هذا الاتجاه كل من رولان بارت وجيرو وجريماس وجوزيف كورتيس ومحمد غرام ورشيد بن مالك.(المصدر نفسه)
٢. هناك من يعتبر السيميائية لأنظمة الاتصال العامة وإشاراتها المختلفة ومنهم مونان.
٣. وهناك البعض من حاول التوفيق بين الرمز اللغوي وغير اللغوي باعتبارهما يتكاملان مع اللسانيات ومنهم إيكو وكريستيفا ومحمد مفتاح وغيرهم.(داني ،٢٠٠٣م،٨٥٣)

سيميائية الصورة :

يؤكد الدكتور سعيد بنكراد في كتابه (السيميائيات،مفاهيمها وتطبيقاتها): «أن الوجود الرمزي المطلق للسان ،يقابله الوجود المحسوس الظاهرة البصرية ،فنحن نبصر لأن هنا أشياء يمكن إبصارها ومن هنا طرحت قضية سيميائية للتفكير والمناقشة هي:كيف يمكن تحديد طبيعة الصورة؟هل هناك طريقة خاصة للوصول إلي هذه الطبيعة؟□(بنكراد،٢٠٠٣م،٧٩)

ويري كذلك الأستاذ سعيد بنكراد أن الآلية الموصلة إلي تحديد طبيعة الصورة ،هي معرفة الطريقة التي تأتي من خلالها هذه الصورة إلي العين، معتبرا أن الإحالة الصافية علي موضوع يتمّ تمثيله من خلال لشد أيقوني يوحي بأن العلاقة قائمة مع تشابه يجعل من الأول يحيل علي الثاني دون وسائط (المرجع نفسه)

ومن هنا يري أن الوقائع البصرية ،تشكل لغة مسننة أودعها الاستعمال الإنساني قيما للدلالي والتواصل والتمثيل.

وقراءة الواقعة البصرية (الصورة) وفهمها يستدعيان سننا سابقا يتم عبره التأويل والتدليل وأن إنتاج دلالة ما عبر الصورة لايعود إلي ما يثيره الدال داخلها من تشابه مع ما يحيل عليه...بل يعود الأمر إلي امتلاك سنن يتم فيه وعبره توليد كل الدلالات الممكنة (المرجع نفسه).

ومن جملة الصور البصرية تلك التي يستعملها الشاعر بلغته الشاعرة و الساحرة ليرسم في ذهن المخاطب صوراً ترسم و كأنها مرسومة بريشة فنّان رسّام لا بكلمات الشاعر الحسّاس.كذلك الصور التي رسمها الشاعر«أحمد مطر»في قصيدتة«قف ورتّل سورة النسف علي رأس الوثن»والتي سيأتي الباحث بها ليدرسها من ناحيةسيميائية الصورة.

لا تُهاجِرْ
كلُّ مَنْ حَوْلَكَ غَادِرْ
كلُّ مَا حَوْلَكَ غَادِرْ
لا تَدَعْ نَفْسَكَ تدري بنواياكَ الدَّفينَهْ
وعلى نَفْسِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَاذِرْ

هذه الصحراءُ ما عادتْ أمينهْ
هذه الصحراءُ في صحرائِها الكُبرى سجينهْ
حَوْلَهَا ألفُ سفينهْ
وعلى أنفاسِها مليونُ طائِرْ
ترصُدُ الجَهْرَ وما يَخْفَى بأعماقِ الضمائِرْ

(مطر،٢٠١٠م،١٥٩)

حاول الشاعر« أحمد مطر»من خلال هذه القصيدة أن يبرز للمخاطب تلك البيئة التي يعيشها و ذلك من خلال رسم بعض الصور التي تقرّب للمتلقّي ذلك الجو الخانق و ترسمه له و عينه علي الموروث الديني من خلال هجرة الرسول (ﷺ) .ولعلّنا نلاحظ معاً ذلك التعميم الرائع الناتج عن جمعه بين الاسمين الموصولين(من)و(ما)...ليشمل البشر و الأشياء بذلك القدر الكاثر.فالشاعر عليه أن يحاذر من كل شيء حتي نفسه لأن البيئه لم تكن آمنة و الاستخبارات ترصد الظاهر و الباطن.

وعلى بابِ المدينَهْ
وقفتْ خَمسونَ قَيْنَهْ
حَسْبَمَا تَقضي الأوامرْ
تَضرِبُ الدُفَّ وتشدو
أنتَ مَجْنُونٌ وساحِرْ
لا تُهَاجِرْ

(المصدر نفسه،١٦٠)

بهذه الكلمات يرجعنا الشاعر إلي عصر النبوة حيث كان الرسول(ﷺ) يدعو الناس إلي النور و يوقظهم من غفلتهم ولكن كانوا يتّهمونه بالجنون و السحر.نكاد أن نلمح ذلك الشبه الذي يريد أن يوصله الشاعر للمتلقّي من خلال هذا العرض بين بيئته و عصر النبوّة.حتي كأنّه ينصب نفسه رسول بيئته ليوقظهم من الظلم الحالك.

أينَ تَمْضِي ؟
رَقَمُ النّاقَةِ مَعْرُوفٌ

وأوْصافُكَ في كُلِّ المخافِرْ
وكلابُ الريحِ تَجْرِي
ولدى الرَّمْلِ أوامِرْ
أنْ يُمَاشِيكَ لكيْ يَرْفَعَ بَصْمَاتُ الحَوافِرْ
خَفِّفَ الوَطْءَ قليلاً
فأديمُ الأرضِ من هذي العَسَاكِرْ
لا تُهَاجِرْ...

(المصدر نفسه)

ولعلّنا أيضاً نلاحظ أن الموروث الثقافي لدي مطر علي مستوي التراث الشعري موروث كبير ينضح بالشموليه الواضحة في تأثره بشعر القدماء وخاصة في السطرين الأخيرين السابقين .

لا ملجأ ولا مفر للشاعر....هو تحت المراقبه و العيون تراقبه حتي الريح تتبعه و الرمل يرفع بصماته كل شيء انقلب عليه و صار جاسوساً حتي أديم الارض.

إخْفِ إيمانَكَ
فالإيمانُ – أستغفرُهُمْ - إحدى الكبائِرْ
لا تَقُلْ إنّكَ ذَاكِرْ
لا تَقُلْ إنّكَ شَاعِرْ
تُبْ فإنّ الشعرَ فَحْشَاءٌ وجَرْحٌ للمشاعِرْ
أنْتَ أُمّيٌّ
فلا تقرأ ولا تكتُبْ ولا تَحْمِلْ يَرَاعَاً أو دَفَاتِرْ
سوفَ يُلْقُونَكَ في الحَبْسِ
ولنْ يَطْبَعَ آيَاتِكَ نَاشِرْ

(المصدر نفسه،١٦١)

في تلك البيئه الخانقة عليك أن لا تظهر أفكارك و أيمانك بشيء فهم يحاربون الأفكار حتّي جعلوا أنفسهم ربّ أو إله يطاع و ذلك من خلال إشارة الشاعر

في«أستغفرهم»بدل أستغفر الله في مثل تلك البيئات عليك أن لا تعلم شيئاً و تكون أمياً يجهل و لا يفقه شيئاً حتي يعيش بسلام.في مثل هذه البيئات الأفكار من الجرائم التي يعاقب عليها القانون.

لا تَسَلْ : أينَ الرِجَالْ
كُلُّ أصحابِكَ رَهْنَ الإعتقَال!
فالذي نَامَ بمأوَاكَ أجيرٌ مُتآمِرْ
ورَفِيقُ الدربِ جاسوسٌ .. عَمِيلٌ للدوائِرْ
وابْنُ مَنْ نَامَتْ على جَمْرِ الرمَالْ
في سبيلِ اللهِ
كافِرْ

(المصدر نفسه)

تتشابه الأمور ولاتعرف العّدو من الصديق...الكلّ متآمر عليك و الكلّ هنا جاسوس يترقّبك...أو عميل للدوائر يبحث عنك.إذا أردتَ أن تعيش و تمضي في حياتك فامض وحيداً لا تبغ صديقاَ.فلربّما الصديق جاسوس أو عميل متآمر.

نَدِموا من غيرِ ضَغْطٍ
وأقَرّوا بالضلالْ
رُفِعَتْ أسماؤهمْ فوقَ المَحَاضِرْ
وهَوَتْ أجسادُهُمْ تحتَ الحِبَالْ
إمْضِ - إنْ شِئْتَ – وَحِيداً
أنتَ مَقْتُولٌ على أيّةِ حالْ

(المصدر نفسه،١٦٢)

يحاول الشاعر أن يبرز الناس خلال هذه الكلمات أنّه لم يعد لديك أصدقاء...لم يتركوا لديك أصدقاء...فقد اعدموهم من غير ضغط و لا استجواب.الجو خانق و الجواسيس في كل مكان و أصدقاء الشاعر يعدمون بلاسؤال ولاجواب.

ويصل «مطر» الي محطة التصوير الرائع لذلك الغدر الشاخص في ملامح الوطن فيقول:

سَترى غَاراً فلا تَمْشِ أمَامَهْ
ذلكَ الغارُ كَمِينٌ
يختفي حينَ تَفُوتْ
وتَرَى لُغْمَاً على شَكْلِ حمامَهْ
وترى آلَةَ تسجيلٍ
على هيئةِ بيتِ العنكبوتْ
تَلْقُطُ الكلْمَةَ حتّى في السكوتْ
إبْتَعِدْ عَنْهُ ولا تَدْخُلْ.. وإلاّ ستموتْ
قبلَ أنْ يُلْقِي عليكَ القَبْضَ
فُرْسَانُ العشائِرْ

(المصدر نفسه)

ذالك الغار هو الوطن و مرابع صباه الذي اضطّر الشاعر ان يودّعه هارباً من مطاردة السلطة.لاتدخل ذلك الوطن فكلّ شيء فيه مهيأ للانقضاض عليك. كلّ الأشياء التي كانت تساعدك و بحوزتك صارت تحت يد السلطة عليك...
لاتدخل ذلك الوطن فكلّ من فيه متآمر عليك...

أنتَ مطلوبٌ على كُلِّ المَحَاوِرْ
لا تُهَاجِرْ
إرْكَبْ النّاقَةَ واشْحَنْ ألفَ طَنْ
قفْ كما أنْتَ
ورَتِّلْ سُورةَ النّسْفِ
على رأسِ الوَثَنْ
أنّهُمْ قَدْ جَنَحوا للسِلْمِ

فاجْنَحْ للذّخَائِرْ
لِيعودَ الوطنُ المنفِيُّ منصوراً
إلى أرضِ الوَطَنْ

(المصدر نفسه،٢٠١٠م،١٦٣)

في هذه القصيدة و غيرها نلمح تأثر شاعرنا المختار بالقرآن العظيم و القصص النبوة علي مستويات التّعبير و الألفاظ و التراكيب فتراه يأخذ ألفاظاً بعينها من القرآن كقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(الانفال/٦١)

فالشاعر يركز علي التصوير الشعري في قصيدته هذه:لأنّه يعرف الأثر الذي يتركه الصورة في نفس المتلقي و دورها في توضيح مجريات الأمور و بيان ذلك الخناق السياسي التي كانت تفرضه عليهم تلك البيئة.فالصورة الشعرية هي السمة المميزة للخطاب الشعري و الحدّ الفاصل بين لغة الشعر و لغة النثر ذلك بأنّ كثيراً من مكونات اللغة الشعرية قابله للتغيير و التطور ولكن الصورة تبقي المبدأ الثابت في القول الشعري.

النتيجة:

قد توصل الباحث من خلال هذا البحث المختصر أن السيميائية قد أسّس مناهجها علماء ولغويون الغرب إلا أنها كانت متجذرة في أدبنا العربي وذلك من خلال الإشارة إلي نماذج من الشعر العربي وأقوال علماؤنا العرب. وشرحنا بعد ذلك المنابع الغربية االتي قد تأسست حول هذا العلم ومن ثمّ تطرقنا إلي البحث حول سيميائية الصورة وانتزعنا بعض الصور من قصيدة (قف و رتل سورة النسف علي رأس الوثن) للشاعر أحمد مطر الذي تمكن من رسم لوحة متكاملة وشاملة للقمع و الظلم من خلال الإشارة الي هجرة الرسول صلي الله عليه و آله و سلم ، تظهر فيها صورة عامة للقمع.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم
- ابن سينا(١٩٧٠م)، العبارة، تحقيق:محمود الخضيري
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

- بارت، رولان(١٩٨٧م)، علم الأدلة، تعريب: محمد بكري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط٢
- بارت، رولان، (١٩٨٦م) ، درس السيميولوجيا، ترجمة: عبد السلام ابن عبد المعالي، دارتو بقال للنشر، ط٢.
- بشر كمال، (١٩٧٥م)، علم اللغة العام(الأصوات)، دار المعارف مصر.
- بنكراد،سعيد(٢٠٠٣م)،السيميائيات- مفاهيمها وتطبيقاتها،سلسلة شرفات١١، منشورات الزمن ، الرباط
- بيجيور، (١٩٩٨م)، ترجمة منذر عياشي، علم الإشارة (السيميولوجيا)، دار طللاس، دمشق.
- الجاحظ (ت٢٥٠هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- الجيلاني، صلاح، (٢٠٠١م)، المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص، مجلة الموقف الأدبي، موقع اتحاد الكتاب.
- حواس، علي حلو(د- ت)، السيميائية اللغوية شعر أحمد مطر نموذجا، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد.
- داني،محمد(٢٠١٣م)، في ماهية السيميائيات والصورة،أنتر نشنال جورنال، العدد الأول،م١
- دقة،بالقاسم،علم السيمياء في التراث العربي
- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تحقيق سعيد الكيلاني.
- القاسمي، محمد(٢٠٠٥م)، الصورة الشعرية- دراسة في شعر أبي تمام، مطبعة آنفو، فاس، ط١
- الغزالي، معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، ط٢، دار المعارف، القاهرة.
- العقباوي،اسماعيل(٢٠١٠م)،أحمد مطر الأعمال الكاملة،كنوز المعرفة،ط ١
- مبارك، حنون، (١٩٨٧م)، دروس في السيميائيات، دارتو بقال، الدار البيضاء
- هوكز، ترنس، (١٩٨٦م)، البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة: مجيد الماشطا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط١